تحوّل في عمليات الداخل
نمط الاشتباك المباشر

تصاعدت حدة المواجهة المسلحة بين ثوار الارض المحتلة وقوات الاحتلال الاسرائيلية خلال شهري أيلول (سبتمبر) وتشرين الأول (اكتوبر) المنصرمين. وتجسد ذلك ليس بزيادة العمليات العسكرية الفلسطينية، بل باكتسابها طابعاً عنيفاً. وقد برزت، بشكل خاص، حالات المواجهة المفتوحة، والاعتداء على أفراد العدو، والصدامات الشعبية.

وقعت المواجهة اللافتة، التي تدل بوضوح على نمو اتجاه جديد في الارض المحتلة، مساء السابع من تشرين الأول (اكتوبر)، حين اصطدمت سيارة تقل أربعة فدائيين بحاجز أقامته الاستخبارات الاسرائيلية في غزة. وتصدى الفدائيون للمكمن، فقتلوا أحد أعضاء جهاز «شين بيت» قبل استشهادهم جميعاً. وعثر جنود العدو بداخل السيارة على بندقيتين آليتين طراز كلاشنكوف وأخريين طراز م ـ ١٦، إضافة إلى مسدسين وقنابل يدوية وذخائر. كما ثبت أن اثنين من الشهداء هم من الفارين السابقين من السجن، الذين هربوا إلى مصر، ثم أعيدوا إلى الارض المحتلة خلال الصيف. فدلت حقيقة قدرة الفدائيين على الفرار والوصول إلى مصر قبل العودة والاختفاء داخل القطاع، علاوة على امتلاكهم كمية لافتة من الاسلحة، على تمتعهم بدرجة عالية من التنظيم والتخطيط. وأضيف بعد آخر للمواجهة، حين كشفت الصحف الاسرائيلية عن أن أحد الفدائيين ربما قتل بعد اعتقاله واستجوابه، وليس في أثناء المعركة. ثم أكدت عائلات الشهداء أن آثار الضرب على أجسادهم أثبتت قتل ثلاثة منهم بعد الاعتقال، وليس خلال التراشق مع الحاجز.

أثارت هذه المواجهة، إضافة إلى احتمال تصفية الفدائيين الاسرى، التظاهرات الشعبية العارمة في قطاع غزة خلال الأيام التالية. وتوجت هذه التظاهرات باصطدام واسع مع القوات الاسرائيلية في العاشر من تشرين الأول (اكتوبر)، جرح خلاله ٢٤ مواطناً فلسطينياً. وتكمن الأهمية المزدوجة للمواجهة الشعبية في الاستعداد الجماهيري استنكاراً لمقتل الفدائيين، وفي تأييد خطهم، وفي النزوع الصدامي المتعمد لدى المتظاهرين، الذين قصدوا تحدي العدو.

ولم تكن تظاهرات غزة هي الوحيدة من نوعها في الارض المحتلة، اذ نظمت تظاهرة كبيرة في مدينة القدس في اليوم التالي، شهدت اشتباكات واسعة، بالحجارة والايدي والعصي، حول الحرم الشريف، أدت إلى جرح أربعة عناصر شرطة اسرائيليين و ٥٠ مواطناً فلسطينياً. وقد تميزت هذه الحركة الجماهيرية، مرة أخرى، بأنها شهدت تعبئة مقصودة وحشداً شبه منظم، بهدف التصدي الجسدي للمستوطنين والجنود الاسرائيليين. وعمت التظاهرات الصدامية مدن الضفة الغربية، وتصدت للقوات الاسرائيلية، بعنف، فاستشهدت امرأة في رام الله، بتاريخ ١٢ تشرين الأول (اكتوبر)، وجرح شاب في ٢٤ منه، في أثناء إلقاء الحجارة. ويجدر الذكر ان مثل هذه الصدامات قد حصلت خلال شهر أيلول (سبتمبر) السابق أيضاً، اذ أصيبت امرأة في خان يونس في العاشر واستشهد فتى في ١٥ منه.

أما حالات النضال الفردي، فقد تكاثرت نسبياً. وقد أقدم أحد المواطنين الفلسطينيين على قتل جندي اسرائيلي عند مفترق الطرق مغيدو (مجدو) والاستيلاء على سلاحه، في ١٩٨٧/٩/٢٤. وردت سلطات الاحتلال، بعد يومين، بالاعلان عن اعتقال أحد سكان بلدة اليامون